﴿سورة النبأ﴾

وفيها عشر مسائل:

المسألة الأولى: من الذين يسألون ؟ وعن أى شئ يتساءلون ؟

الجواب: ابتدأت هذه السورة الكريمة بهذا الاستفتاح التساؤلى المبدوء بصيغة الاستفهام (**عَمَّ**) وهى صيغة مكونة من كلمتين: (عن و ما)، ثم أدغمتا معاً فصارتا (عمَّ) وحذفت الألف فى (ما) لدخول حرف الجر (عن) عليها، ومعناها عن أى شئ يسألون ؟

والذين يسألون هنا هم المشركون المكذبون، والمسئول هنا هو الرسول ﷺ، وأما المسئول عنه فقد أوردته الآية الثانية ﴿**عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلعَظِيمِ (٢)**﴾ والنبأ غير الخبر، فالنبأ هو الأمر العظيم والخبر المهول، وهو يوم القيامة، وقد وصفته الآية بالعظيم زيادة فى بيان أهميته وخطورته، ويكفى أن الله ﷻ سماه نبأ ووصفه بالعظيم. وكان المشركون يكثرون من سؤال الرسول ﷺ عن الساعة، وسؤالهم ليس للتعلم، أو البحث عن الحقيقة للإيمان بها، بل هو سؤال سخرية واستهزاء، وإنكار وتكذيب، ويتضح هذا فى الوعيد الأكيد والتهديد الشديد الذى جاء بعد ذلك فى قوله ﷻ: ﴿**كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥)**﴾.

المسألة الثانية: ما الدرس المستفاد من قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا نَومَكُمْ سُبَاتا (٩)﴾ ؟

الجواب: إن من شقاء الناس ابتعداهم عن المنهج القرآنى الذى جاء لإصلاح دينهم ودنياهم، ومن ذلك تلكم الإشاراة بالغة الأهمية فى قوله ﷻ: ﴿**وَجَعَلْنَا نَومَكُمْ سُبَاتا (٩)**﴾، فالأصل اللغوى لكلمة السبت تعنى الراحة، قال ابن فارس: ("سبت" السين والباء والتاء أصلٌ واحد يدلُّ على راحةٍ وسكون، يقال للسَّير السهل اللّين:سَبْتٌ) [١]، فجعل الله ﷻ النوم بالليل سباتاً، أى انقطاعاً عن العمل وراحة للبدن بخلوده للنوم، حتى

(١) معجم مقاييس اللغة ٣ / ٩٥ ، أحمد بن فارس بن زكريا، الناشر اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣، ٢٠٠٢م.

يحصل للبدن الراحة، وللنفس الاستجمام استعداداً لبدء يوم جديد ملؤه النشاط والتفاؤل .

ولكن ... أين الناس اليوم من هذه الآية ؟ إن كثيراً من الناس قد قلب ليله نهاراً وجعل نهاره ليلاً ، فتراه يقظاً بالليل نائماً بالنهار، وهذا تغيير للفطرة السوية ورفض للنعمة الإلهية، مما ينعكس بالتوتر والإجهاد الدائم على بدن الإنسان وروحه ، وكلام الأطباء معلوم في أثر السهر، وتأكيدهم على حاجة الجسد للراحة والنوم ليلاًوأن هناك غدد فى الجسد التي لا تفرز إلا في ساعات الليل وهو أمر لابد منه للجسم وعافيته، وبالسهر تضطرب تلك الغدد بما لا يمكن تعويضها حتى بساعات النوم الطوال بالنهار ... فسبحان من أعطى كل شئ خلقه ثم هدى .

المسألة الثالثة: لم سميت الشمس بالسراج الوهاج ؟

الجواب: فى هذه التسمية سر من أسرار الإعجاز العلمى لذى لم يُكتشف إلا فى عصور متأخرة، فتسمية الشمس بالسراج هو أنسب تسمية تبين حقيقة أمرها، فالسراج الوهاج هى صفة الشمس، وقد وصفت بالسراج تشبيهاً لها بالمصباح الذى يضئ للناس فهى مصدر نورهم، ووصفت بالوهاج وهو (الحار المضطرم الاتقاد المتعالي اللهب) [1] دلالة على حرارتها العالية وأنها مصدر الحرارة والدفء للناس على ظهر الأرض .

المسألة الرابعة: كيف تكون جهنم مرصاداً للكافرين ؟

الجواب: المرصاد مفعال بمعنى راصد، فجهنم ترصد الكافرين؛فكل الخلق يمرون على الصراط وقد نُصب على شفير جهنم، فمن وفقه الله فى عمل الدنيا نجا، وإلا هوى من على الصراط في نار جهنم،قال الحسن وقتادة في قوله تعالى: **﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرصَادا (٢١)﴾** (يعني أنه لا

(١) المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ٥ / ٤٢٤ .

يدخل أحد الجنة حتى يجتاز بالنار فإن كان معه جواز نجا وإلا احتبس)[1]

المسألة الخامسة: ما معنى أحقاباً ؟

الجواب: الأحقاب جمع حقب وهى فترة زمنية طويلة، وقيل: الحقب الواحد: ثمانون سنة، وليس المقصود تحديد فترة زمنية محددة، (قال الحسن: إن الله لم يجعل لأهل النار مدة، بل قال: **﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَا أَحقَابا (٢٣)﴾** فوالله ما هو إلا إذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر إلى الأبد، فليس للأحقاب عدة إلا الخلود) [2].

وقيل: إن هذه الآية التى ورد فيها تحديد مدة العذاب بالأحقاب منسوخة ارتفع حكمها بقوله ﷻ: **﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)﴾** ولكن هذا القول ضعيف – والله أعلم – لأن الأحقاب فى اللغة هى المدة الطويلة من الدهر غير محدودة، وبالتالى تحمل معنى الخلود فلا داعى للقول بالنسخ فيها .

المسألة السادسة: ما الفرق بين الحميم والغساق ؟

الجواب: قال ابن عطية: (الحميم هوالحار الذائب، وأكثر استعماله في الماء السخن، والعَرَق ومنه الحمَّام) [3]، وأما الغساق فقد اختلف كلام المفسرين فى بيانه فقال بعضهم: هو ما يسيل من أجسام أهل النار من صديد ونحوه، يقال: غسق الجرح: إذا سال منه قيح ودم،وقال بعضهم: الحميم هو البارد شديد البرد، قال ابن كثير: (أما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره وأما الغساق فهو: ضده، وهو البارد الذي لا يستطاع من شدة برده المؤلم) [4]، وعلى هذا فإن عذاب أهل النار اجتماع الضدين عليهم، فالحميم حار قد انتهى إلى الغاية فى الحر، والغساق بارد قد بلغ الغاية فى البرد.

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٨ / ٣٠٩ .
(٢) معالم التنزيل فى تفسير القرآن ٥ / ٢٠١ .
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥ / ٤٢٧ .
(٤) تفسير القرآن العظيم ٧ / ٧٨ .

المسألة السابعة: ذكرت الآيات جملة من ثواب المتقين ... اذكرها ؟

الجواب: قال الله ﷻ: **﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً (٣٣) وَكَأْساً دِهَاقاً (٣٤) لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا كِذَّاباً (٣٥)﴾** فهذه الآيات وعدت المتقين بالمفاز، وهو الفوز بمطلوبهم، والظفر بمرغوبهم؛ وهو الجنة وفيها من أنواع النعيم ما عددته الآيات؛ففيها الحدائقوالبساتين التى تحوى كل أنواع الثمار والفواكه، وفيها كروم الأعناب المتنوعة من كل ما تشتهيه النفوس، قال النيسابورى: (وخُصَ منها الأعناب لشأن مزيته على سائر الفواكه) [١] ،والكواعب الأتراب وهن الحور العين نساء الجنة وهن فتيات عذراوات كواعب، والكواعب مفرد كاعب وهى الفتاة البكر التى قد بلغت وبدأ ظهور ثديها أمارة على تمام البلوغ ونضرة الشباب، قال السعدى:**﴿أَتْرَابا﴾** أى اللاتي هن على سن واحد متقارب، ومن عادة الأتراب أن يكن متآلفات متعاشرات، وذلك السن الذي هن فيه ثلاث وثلاثون سنة، في أعدل سن الشباب، **﴿وَكَأسا دِهَاقا﴾** (قال الضحاك: كل كأس في القرآن فهو خمر) [٢]، والكأس هى القدح المملوء بالشراب، ولا يسمى كأساً إلا إذا كان مملوءاً بالشراب، ولذا وصفها بالدهاق أى المترعة المملوءة ، وقيل: بل الدهاق هى المتتابعة أى التى تدور على القوم فلا ينقطع الشرب منها، وقيل: بل الدهاق هى الصافية،ولا يمنع أن تكون كلها من صفات كؤوس أهل الجنة فهى مملوءة بالشراب الصافى الذى يشرب منه الشارب مرة بعد مرة من غير انقطاع، وأهل الجنة فى نعيم ممدود من غير كدر ولا تنغيص، ولا يخالط آذانهم قبيح قولٍ من لغو وهو الكلام الباطل، **﴿وَلَا كِذَّابا﴾** قُرِئت بالتشديد والتخفيف، فالأصل فيمن يشرب الخمر من أهل الدنيا أن تنعقد مجالسهم

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٦ / ٤٣٤ .

(٢) مفاتيح الغيب ٣١ / ٢٢ .

على الباطل ويكثر فيها فحش القول والأكاذيب من أثر مخالطة الخمر لعقولهم، وتأثيرها السلبى على إدراكهم، أما خمر الآخرة فلا تغير عقول شاربيها من أهل الجنة، ولا يجرى على ألسنتهم لغو الكلام وباطله، ولا يكذب بعضهم بعضاً، بل هم فى صفاء ووئام، إخوانٌ قد طهر الله قلوبهم من الغل، وألسنتهم من الكذب ... فاللهم اجعلنا منهم .

المسألة الثامنة: ما دلالة استخدام القرآن الكريم اسم " الرحمن " فى موقف الحساب يوم القيامة ؟

الجواب: لعل القرآن الكريم استخدم اسم الرحمن دون غيره من الأسماء الحسنى فى هذا الموقف المهيب، وهو موقف الحساب، وقيام الخلائق بين يدى الله ﷻ فى خشوع وخضوع، فلا يستطيع أحد منهم أن يتكلم إلا من أذن له الرحمن بالكلام، وقد امتلأت القلوب بالخوف والوجل منه ﷻففى مثل هذا الموقف ورد اسم الرحمن لبيان شدة غضبه وعظيم انتقامه من الكافرين والمعاندين، فالرحمن إذا غضب فمن يقوم لغضبته ؟ والحليم إذا انتقم فمن يتحمل وقع انتقامه ؟

فهذا يوم الهول والفزع، والخوف والوجل، حتى أن الأنبياء المرسلين والملائكة المقربين يقولون : "سلم . سلم " ولعل هذا المعنى يتضح بجلاء مع ورود اسم الرحمن فهو ﷻ قد غضب مع رحمته، ولو قال الجبار لكان الغضب منه متوقعاً .

المسألة التاسعة: كيف يتخذ العبد إلى ربه مآباً ؟

الجواب: المآب هو المرجع والمنزل والسبيل، فمن شاء أن يجعل لنفسه عند الله منزلاً، وأن يكون له فى هذا اليوم الحق سبيلاً إلى رضا الله، ومرجعاً إلى الجنة، فليؤمن به حق الإيمان وليستزد من أعمال البر والإحسان، والتقوى والإيمان، قال الطبرى: (فمن شاء من عباده اتخذ

بالتصديق بهذا اليوم الحقّ، والاستعداد له، والعمل بما فيه النجاة له من أهواله (مآبًا) ، يعني: مرجعاً) [1] .

المسألة العاشرة: لم يتمنى الكافر أن يكون تراباً يوم القيامة ؟

الجواب: للعلماء فى تفسير أمنية الكافر أن يكون تراباً يوم القيامة أقوال :

الأول: إن الكافر لما يرى العذاب، ويعاين النيران، ويوقن بالهلاك، يتمنى لو كان تراباً عدماً فى الدنيا، وأنه لم يخلق من الأصل .

الثانى: لما يرى الكافر ما يكون بين البهائم العجماوات يوم القيامة حين تُبعث فيقتص من للشاة الجلحاء من الشاة القرناء؛ ثم يُقال لها: كونى تراباً فتموت، ولا تدخل الجنة ولا النار، لأنها فى الدنيا كانت غير مُكلَّفة، وليس لها مهمة إلا خدمة الإنسان، عندئذٍ يتحسر الكافر لأنه سيدخل النار، ويتمنى ساعتها لو كان بهيمة كالبهائم التى جُعِلت تراباً حتى يصير تراباً معها،فيموت موتة أبدية – ولم يكن فى الدنيا شئ أكره عليه من الموت – لكنه يتمناه فى الآخرة حتى لا يُحاسب ويُخلَّد فى النار .

الثالث: قال بعض المفسرين إن هذه المقولة هى لإبليس؛ حيث يتحسر على رفضه أمر الله ﷻ له بالسجود لآدم، لاحتقاره أصل آدم الترابى، وافتخاره بأصله النارى، فيتمنى وقتها لو كان مخلوقاً من تراب،إذ لو كان كذلك لما وقع فى معصية الكبر، ورفض أمر الله ﷻله ، ولكن هذا القول ضعفه كثير من أهل العلم .

قلت: والحق أن عدم قصره على إبليس أولى، فهذه الآيات جاءت فى سياق عام تتحدث عن أحوال المتقين والكافرين، فحملها على العموم أولى، ولو تمنى الكافر أن يكون تراباً؛ فإبليس من باب أولى سيدخل فى هذا النطاق لأنه سيد الكافرين وقائدهم إلى النار .

(١) جامع البيان فى تأويل آى القرآن ٢٤ / ١٧٩ .